سورة الكوثر
دراسة بيانية

إعداد

د. عبده محمد الحكيمي

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

كلية التربية/ جامعة صنعاء.

الملخص

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

إن سورة الكوثر ـ التي جاءت خالصة للرسول ﷺ- تعد أقصر سور القرآن الكريم من حيث عدد كلماتها العشر؛ فتاقت النفس إلى معرفة سر إعجاز هذا النص القرآني الموجز المعجز.

جاءت هذه الدراسة تبين ما في هذه السورة من بلاغة وإعجاز، مستعينة بالمصادر التي أمدت الباحث بما يمكنه من إتمامها، وعرض ذلك كله بأسلوب نرجو أن يكون قد قارب الصواب، ونأمل أن يرضي الباحثين.

ومنهج البحث أن نذكر ما تيسر من تفسير الآية، ثم نقف على ألفاظ الآية، ونتبين مدى الدقة في اختيارها، ثم الإشارة إلى ما في الآية من فنون بلاغية، وما فيها من نسيج صوتي يتلاءم مع مدلول اللفظ، ثم الانتقال إلى الآية الثانية، والتنويه إلى مدى الربط بين الآيتين، وهكذا.

من خلال هذه الدراسة البيانية للسورة تبين أنها تشتمل على مقدمة وعرض وخاتمة، بحسب ترتيب آياتها الثلاث، وعلى ذلك قُسمت القراءة البيانية للسورة إلى ثلاثة مطالب، بعد التمهيد الذي سميناه: بين يدي السورة.

وخُتم البحث بنتائج هي خلاصة ما ورد في هذه السورة القصيرة من أساليب بلاغية متنوعة.

(بِسْمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرْ *
فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرَ) .

بين يدي السورة:

جاءت هذه السورة خالصة لرسول الله ﷺ يسرِّي عنه ربه فيها، ويعده بالخير، ويوعد أعداءه بالبتر، ويوجهه إلى طريق الشكر. وهي تمثل صورة من حياة الدعوة، وحياة الداعية في أول البعثة النبوية. صورة من الكيد والأذى للنبي ﷺ،ودعوة الله التي يبشر بها؛ وصورة من رعاية الله المباشرة لعبده، وللقلة المؤمنة معه، ومن تثبيت الله وتطمينه، وجميل وعده لنبيه، وشدة وعيده لشانئه[1] .

وتقع هذه السورة بين سورة الماعون وسورة (الكافرون)، وبين هذه السور الثلاث ارتباط وثيق.

والسورة مختصرة قوية وافية بإثبات جميع المقاصد، فكانت صغيرة في الحجم، كبيرة في المعنى، ثم إن لها خاصية ليست لغيرها، وهي أنها ثلاث آيات حسب،فهي بكل واحدة من آياتها معجزة،وبمجموعها معجزة[2] .

وسورة الكوثر أقصر سورة في القرآن الكريم، ويتضح ذلك من قِصر آياتها الثلاث، ومن عدد كلماتها التي لا تتجاوز عشر كلمات.

وعندما ترى محل هذه السورة مما قبلها ومما بعدها، وصلتها بالسياق القرآني العام، وانسجامها مع طريقة القرآن في عرض المعاني وفق تسلسل معين، فإنك تجد عجباً، ثم إن السورة توجد فيها خصائص القرآن كله؛ فكلماتها أفصح الكلمات؛ تؤدي معناها وجمالها؛ فليس فيها شطحة خيال، وهي معلمة، ومشرعة، ومبشرة، ومفصلة، ومبينة، ومحكمة، ولا تتناقض مع بقية معاني القرآن ؛ بل كلماتها وحدها هي التي تسع معانيها. [3]

وجاءت هذه السورة مفردة الخطاب للرسول ﷺ في الصلاة والنحر، مذكرة بنعم الله الخاصة عليه، وكأنه تعليم وتبيان من الله عز وجل أنه إن

أعرض بعض خلقه عن إطاعة أمره؛ فإن هناك من يستجيب له، ولهؤلاء تنزل الشرائع مهما كثر عدد المعرضين.

ومن لطائف هذه السورة: أنها كالمقابلة للتي قبلها، وهي كالأصل لما بعدها، فكونها كالمقابلة للتي قبلها؛ لأن سورة الماعون وصف الله فيها المنافق بأربعة أمور هي: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة. فذكر في هذه السورة في مقابلة البخل قوله:(إنا أعطيناك الكوثر) أي الخير الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة قوله : (فصلِّ)، وفي مقابلة الرياء قوله : (لربك) أي لرضاه لا للناس، وفي مقابلة منع الماعون قوله : (وانحر) وأراد به التصدق بلحم الأضاحي، فابتدئت هذه السورة بالعطاء لأشرف الخلائق ترغيباً فيه، وندباً إليه [٤] .

وأما كونها كالأصل لما بعدها؛ فقد جاءت خاتمة الكوثر: (إن شانئك هو الأبتر)، وشانئ الرسول ﷺ هو الكافر، وليس بينه وبين الرسول ﷺ أسباب عداء سوى الإيمان الذي يدعو إليه الرسول ﷺ والكفر الذي عليه الكافر. فجاء مطلع (الكافرون) نداءً إلى أولئك الكفار الشانئين، قاطعاً عليهم كل أمل في النيل من الرسول ﷺ مهما بلغوا من الكيد له [٥].

وقد ذكر الفخر الرازي(تـ ٦٠٦هـ) أن مسيلمة الكذاب عارضها فقال : (إنا أعطيناك الجماهر، فصلِّ لربك وجاهر، إن مبغضك رجل كافر). ثم بين الفخر أنه لم يوفق في ذلك لوجوه منها :

١- أن الألفاظ والترتيب مأخوذان من هذه السورة، وهذا لا يكون معارضة.

٢- أن هذه السورة كالتتمة لما قبلها، وكالأصل لما بعدها؛ فذكر هذه الكلمات وحدها يكون إهمالاً لأكثر لطائف هذه السورة.

٣- التفاوت العظيم الذي يقرُّ به من له ذوق سليم بين قول الله : (إن شانئك هو الأبتر)، وبين قول مسيلمة : إن مبغضك رجل كافر[٦].

ومع قصر هذه السورة؛ فقد جمعت بين أغراض كثيرة منها:

١ــ الامتنان والمدح؛ يمن الله على نبيه ﷺ بأن أعطاه الخير الكثير.

٢ــ الأمر بالطاعات من صلاة ونحر، وتقرب إلى الله، وشكر على نعمه.

٣ــ الذم لمبغضي الرسول: فإن من كان أبتر؛ لا عقب له؛ فهو مذموم [٧].

فضلاً عما توحي به السورة من تسلية ورعاية من المولى عز وجل.

سبب النزول ومكانه :

اختلف المفسرون في مكان نزولها، وتعارضت الأقوال في أنها مكية أو مدنية، والمشهور على أنها مكية، وأنها نزلت في العاص بن وائل، فقد ذكر الفخر الرازي أن الرسول ﷺ كان يخرج من المسجد والعاص بن وائل السهمي يدخل فالتقيا فتحدثا، وصناديد قريش في المسجد، فلما دخل قالوا: من الذي كنت تتحدث معه ؟ فقال: ذلك الأبتر. وروى أيضاً أن العاص بن وائل كان يقول إن محمداً أبتر؛ لا ابن له يقوم مقامه بعده، فإذا مات انقطع ذكره، واسترحتم منه، وكان قد مات ابنه عبد الله من خديجة، وهذا قول ابن عباس والكلبي، ومقاتل، وعامة أهل التفسير[٨].

وقال فريق آخر إنها مدنية، وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد؛ للحديث الذي رواه مسلم عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ قال: (أغفى رسول الله إغفاءة، فرفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال: أنزلت عليّ آنفاً سورة، فقرأ:(بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك الكوثر ..) حتى ختمها، ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة، عليه خيرٌ كثير ...)[٩]

وذكر الشهاب الخفاجي أن لبعضهم تأليفاً صحيحاً ورد فيه أنها نزلت مرتين؛ أي مرة في مكة، ومرة في المدينة، وحينئذ فلا إشكال[١٠] .

القراءة البيانية للسورة :

وتتمثل هذه القراءة في الكشف عن الظواهر البيانية التي اشتملت عليها هذه السورة بحسب المطالب الآتية:

أولا: الظواهر البيانية في مقدمة السورة:إنا أعطيناك الكوثر :

فسر السلف (الكوثر) في هذه الآية بتفاسير كثيرة أعمها أنه الخير الكثير، روى البخاري عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر:"هو الخير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر : قلت لسعيد بن جبير : فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه . وروي أيضاً عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الكوثر : الخير الكثير" [١١] . وذكر ابن كثير ــ بعد أن أورد هذه الأحاديث ــ أن هذا التفسير يعني النهر وغيره ؛ لأن الكوثر من الكثرة، وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر ..، وعن مجاهد أنه الخير الكثير في الدنيا والآخرة، أو هو النبوة، والقرآن، وثواب الآخرة على قول عكرمة [١٢].

وذكر صاحب التفسير الواضح أن هذه الآية تعني الخير الكثير البالغ حد الإفراط، فأعطاه ربه النبوة والدين الحق، وأرسله للناس كافة، وجعل دينه خاتم الأديان، ونهاية الرسالات، وجمع فيه بين خيري الدنيا والآخرة، وجمع فيه الحسن والكمال من كل ناحية، وأعطاه القرآن والعلم والحكمة والفضل الكثير، والخير العميم، والهدى والنور، وسعادة الدنيا والآخرة؛ له ولأصحابه ولأمته إلى يوم القيامة، أعطاه هذا كله، ومن بينه الكوثر ــ إذا فسر بنهر الجنة ــ فلذلك أمره بالصلاة لربه والنحر له [١٣].

ومعنى ذلك أن الخير الذي وُعِدَ به الرسول ﷺ ما أعطاه الله في الدارين من مزايا التعظيم والتقديم والثواب الجزيل ما لم يعرفه، ولم يحظ به أحد من العالمين، وهي ميزة خصه الله بها دون أحد من خلقه، فلم ينل مثل

هذا العطاء نبي مرسل ولا ملك مقرب. وفي تفسيرها بهذه المعاني كلها ما يدل على حسن اختيار هذه الكلمة الجامعة في موضعها، وعلى قدرة الكلمة القرآنية على التوسع في الدلالات؛ كيف لا يكون ذلك وهو منزل من الحكيم العليم ؟!.

أما الظواهر البيانية في هذه الآية فهي كالآتي:

التوكيد وضمير العظمة:

لقد اشتملت هذه الآية على تنويه عظيم بالعطاء الكثير الذي تفضل به المولى عز وجل على عبدهِ محمد ﷺ فتصدر الآية حرف التوكيد (إن) للاهتمام بالخبر، والإشعار بأنه شيءٌ عظيم، والمبالغة في تأكيد هذا العطاء[١٤].

واتصل بحرف التوكيد الضمير (نا)، وهو اسم (إن)، وأصلها (إننا)، فحذفت إحدى النونات استثقالاً لاجتماع الأمثال [١٥] .

ومجيء ضمير المتكلم بصيغة الجمع يشعر بعظم الربوبية، ويسمى ضمير العظمة، وهذا الضمير يشعر بالامتنان بعطاء عظيم، فالإتيان (بإن) وضمير العظمة للتأكيد، ولزيادة تشريفه ﷺ والمعنى: قضينا به لك، وخصصناك به، وأنجزناه لك في علمنا [١٦] .

ففي هذا الضمير تنبيه على عظمة الواهب،وهو الله سبحانه وتعالى، وعظمة العطية، وهي الشيء المسمى بالكوثر، مع ما يفيد من المبالغة في الكثرة، وعظم الموهوب؛ وهو محمد ﷺ فيا لها من نعمة ما أعظمها ! وما أجلها ! ويالله من تشريف ما أعلاه ![١٧].

براعة الاستهلال وحسن الابتداء:

حسن الابتداء فن بديع، ذكره ابن المعتز (تـ ٢٩٦هـ) آخر ما ذكر من محاسن الكلام، وجعله العلوي (تـ ٧٤٩هـ) ركنًا من أركان البلاغة، وذكره ضمن مباحث علم المعاني[١٨]. وفرع المتأخرون من حسن الابتداء

براعة الاستهلال في النظم والنثر، وفيها زيادة على حسن الابتداء، فإنهم شرطوا في براعة الاستهلال أن يكون مطلع القصيدة دالا على ما بنيت عليه القصيدة، مشعراً بغرض الناظم من غير تصريح، بل بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم، ويستدل بها على قصده، فإذا جمع الناظم بين حسن الابتداء، وبراعة الاستهلال؛ كان من فرسان هذا الميدان[١٩].

فإذا نظرنا إلى هذه الآية نجد أنها بشرت بعطاء كثير من الكبير سبحانه وتعالى واطمئنان منه عز وجل ؛ ليزيل من قلب رسوله ﷺ كل ما من شأنه أن يحزنه أو يؤذيه؛ فهي طمأنة، وتسلية ،وإشعار له ﷺ أن الله معه ؛ وكفى به ناصراً ومعيناً.

نجد أن السورة بدأت هذه البداية الكريمة المانحة للرسول ﷺ المبشرة بعطاء عظيم مع ما كان من عطاء سابق لهذا النبي الكريم، وبالخطاب المباشر له ﷺ ولهذا دلالته في التشريف والتكريم، وبضمير العظمة الذي نبه على عظمة العطية، وعلى ضمان تنفيذها للموهوب. وكلام الله ووعده مصون عن الإخلاف، لا يحتاج إلى توكيد، ومع ذلك جاءت الآية مصدرة بحرف التوكيد، وجاء خبرها فعلا؛ مما يضفي على ما سبق خصوصية وتوكيدا. فهي إذاً مبشرة، مؤنسة، مطمئنة، مخصصة، مؤكدة لعطاء عظيمٍ لا حدود له؛ بخطاب مباشر بين الله وعبده ﷺ من غير واسطة. وهي توحي بمعية الله مع عبده ورعايته، فهو مدافع عنه وحاميه، وهذا ما اشتملت عليه الآيتان الثانية والثالثة كما سيأتي.

فكيف لا يكون هذا براعة استهلال وحسن ابتداء، وقد أعطت هذه المقدمة أكثر مما يطلبه علماء البلاغة، وأرباب الفصاحة والبيان.

ونستوحي من ذلك أيضاً أن السورة قد نُظِمت نظماً عجيباً – على صغر حجمها – فقد جاءت بمقدمة وعرض وخاتمة؛ أي حسن ابتداء،

وعرض مناسب، وخاتمة حسنة. ولم يكن مبالغاً من يرى أن كل آية في السورة معجزة.

تقديم المسند إليه واختصاصه بالخبر الفعلي:

ومن بلاغة النظم في هذه الآية أنه قدّم المسند إليه، وهو ضمير العظمة الواقع اسم (إن) وجاء بالخبر جملة فعلية ليفيد الاختصاص والتوكيد.

وبناء الفعل على الاسم يفيد الإسناد مرتين، ويدل على الخصوصية والحصر. فنجد في هذا التعبير أن الفعل مختص بالمسند إليه المقدم؛ وهو الضمير (إنا)، فتقديمه أفاد الاختصاص، وعندما يفيد التقديم الاختصاص؛ فهو يفيد التوكيد لا محالة؛ لأن الاختصاص يستلزم التوكيد[٢٠]، وهذا لا يبعد عما لمسناه من براعة الاستهلال وحسن الابتداء في هذه الآية.

ولعل أشهر من تحدث عن تقديم المسند إليه واختصاصه بالخبر الفعلي، أو توكيده في مصادر البلاغة ومظانها هو شيخ البلاغة العربية عبد القاهر الجرجاني في دلائله (ت٤٧١هـ)، وكل من جاء بعده ينهل من معينه، فذكر مواضع عدة يحسن فيها تقديم المسند إليه على خبره الفعلي للاختصاص أو لتأكيد الخبر وتحقيقه.

ومن هذه المواضع قوله: "ومما يحسن ذلك فيه ويكثر: الوعد والضمان؛ كقول الرجل: أنا أعطيك، أنا أكفيك، أنا أقوم بهذا الأمر، وذلك أن من شأن من تعده وتضمن له؛ أن يعترضه الشك في تمام الوعد، وفي الوفاء به؛ فهو من أحوج شيءٍ إلى التأكيد"[٢١].

فإذا نظرنا في قول عبد القاهر: أنا أعطيك،أنا أكفيك...؛ وجدنا كأنه بهذه العبارات يقف على هذه السورة تحديداً؛ فالوعد بالعطاء، والكفاية، والقيام بالأمر؛ هو ما تتضمنه هذه الآية الكريمة، وما تتضمنه دلالة لفظ (ربك) في الآية الثانية.

وقد أفاد منه الفخر الرازي؛ فوظف عبارة عبد القاهر، وأسقطها على هذه الآية؛ فقال: "ومما يحقق قولنا قول الملك العظيم لمن يعده، ويضمن له : أنا أعطيك، أنا أكفيك، أنا أقوم بأمرك، وذلك إذا كان الموعود به أمراً عظيماً؛ فعظمه يبعث على الشك في الوفاء به، فإذا أسند إلى المتكفل العظيم؛ فحينئذٍ يزول الشك، وهذه الآية من هذا الباب؛ لأن الكوثر شيء عظيم؛ فلما تقع المسامحة به، فلما قدم المبتدأ؛ وهو قوله : (إنا)؛ صار ذلك الإسناد مزيلاً لذلك الشك، ودافعاً لتلك الشبهة" (٢٢).

الأسرار البيانية في اختيار الفعل (أعطى):

وفي قوله عز وجل : (أعطيناك): دلالة على العطاء الكثير من الله عز وجل لرسوله ﷺ في ماضيه، وحاضره الذي عاش فيه، وفي مستقبله.

و تدل هذه الآية على عطية كثيرة صادرة عن معطٍ كبير غني واسع، فصدَّر الآية (بإن) الدالة على التأكيد، وتحقيق الخبر.

وجاء الفعل بلفظ الماضي الدال على التحقيق، وأنه أمر ثابت واقع . فالكوثر علامة وأمارة على تعدد ما أعده الله له من الخيرات، واتصالها وزيادتها، وسمو منزلته ﷺ ، وأن ذلك النهر - وهو الكوثر- أعظم أنهار الجنة، وأطيبها ماء وأعذبها وأحلاها وأعلاها (٢٣).

فجاء بلفظ الماضي دلالة على أن المتوقع من عطاء الكريم في حكم الواقع . كقوله تعالى: (أتى أمر الله) في أول سورة النحل؛ لما سيحدث يوم القيامة. ففي التعبير بالماضي ــ مع الإشارة إلى تحقق الوقوع ــ إشارة إلى تعظيم الإعطاء، وأنه مرعيّ؛ لم يترك إلى أن يفعل بعد. (٢٤)

فالكلام إذاً مسوق مساق البشارة، وإنشاء العطاء؛ لا مساق الإخبار بعطاء سابق.

وقال: (أعطيناك) فجعل المفعول الأول ضمير المخاطب، ولم يقل : أعطينا الرسول أو النبي أو نحوه؛ لأنه لو قال ذلك؛ لأشعر أن تلك العطية

معللة بذلك الوصف، فلما قال: (أعطيناك) علم أن تلك العطية غير معللة، بل هي من محض الاختيار والمشيئة الإلهية، وفيه أيضاً تعظيمه عليه الصلاة والسلام ورفع منزلته وتشريفه بالخطاب.

ويفيد الخطاب أن الله تعالى لم يتكلم مع الرسول ﷺ بواسطة،ولعل هذا أشرف لأن المولى إذا شافه عبده بالتزام تربيته والإحسان إليه؛ كان ذلك أعلى مما إذا شافهه في غير هذا المعنى، فمخاطبة الله إياه بقوله : (إنا أعطيناك الكوثر) مما يزيل الخوف من القلب، والجبن عن النفس [٢٥].

وقد تكرر ضمير العظمة في قوله تعالى: (إنا أعطيناك)؛ ليفيد تكرار الإسناد مرتين ؛ مما يزيد من الدلالة على تأكيد أمر هذه العطية وخصوصيتها المطلقة للرسول ﷺ ،فجاء الضمير في الموضعين مسنداً إليه كما هو معلوم عند أهل البلاغة .

وقال:(أعطيناك) ولم يقل:(آتيناك)؛ ذلك أن الإتيان محتمل أن يكون واجباً، وأن يكون تفضلا، وأما الإعطاء؛ فإنه بالتفضل أشبه، فقوله : (إنا أعطيناك الكوثر) يعني هذه الخيرات الكثيرة، وهي الإسلام والقرآن والنبوة، والذكر الجميل في الدنيا والآخرة؛ محض التفضل من الله عز وجل إلى رسوله ﷺ وليس منه شيء على سبيل الاستحقاق والوجوب، والكريم إذا شرع في التربية على سبيل التفضل؛ فالظاهر أنه لا يبطلها؛ بل إنه كل يوم يزيد فيها.

والأمر الثاني: في بيان أن الإعطاء أليق بهذا المقام من الإيتاء؛ هو أن الإعطاء يستعمل في القليل والكثير؛ قال الله تعالى : (وأعطى قليلاً وأكدى) [النجم/٣٤]. أما الإيتاء؛ فلا يستعمل إلا في الشيء العظيم؛ قال الله تعالى: (وآتاه الله الملك)[البقرة/٢٥١]، (ولقد آتينا داود منا فضلا) [سبأ/١٠] (ولقد ءاتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم) [الحجر/٨٧]، فقوله:(إنا أعطيناك

الكوثر) يفيد تعظيم حال محمد ﷺ في منحه الدرجات العالية والمراتب الشريفة[٢٦] .

ومن الباحثين المعاصرين من ناقش هذه القضية، وخلص إلى الآتي:

أن بين الإيتاء والإعطاء فروقاً خفية لا تكاد تظهر، وهذه الفروق ينظمها إطار من خصوص الإعطاء وعموم الإيتاء، ذلك أن الإعطاء تمليك عن سماحة نفس؛ ولا يكون إلا في الخير، ولذا لم يرد الأمر به في القرآن الكريم، ولم يكن محلاً للبلوى، أما الإيتاء فيكون تمليكاً وغير تمليك، ويستخدم مع رضا النفس وسخطها، كما يستخدم في الخير والشر، ولذلك كثر ورود آيات أخرى، وهذه الازدواجية في الإيتاء مقابل تلك الأحادية في الإعطاء تعزز لدينا القول بعموم الأول وخصوص الثاني، ويؤكد الفرق بين دلالتي اللفظين وعدم ترادفهما [٢٧]، كما يؤكد دقة اختيار هذا الفعل في هذا الموضع من السورة بحيث لو أُتِي بفعل آخر؛ لاختل نظام السورة، ولكان منافياً للنظم القرآني المعجز.

إن السياق هو الذي يحدد قيمة الكلمة؛ فقد تطرح الكلمة، وهي تحمل معاني معجمية متعددة، وحين توضع في سياق معين؛ نجد أن السياق هو الذي يحتم هذا المعنى دون ذاك [٢٨] وصدق الله العظيم القائل : (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [هود/١] .

وقد جاءت المدود التي نلحظها في الآية (إنا أعطيناك) تساعد في إكمال الإيقاع وتكوينه واتساقه مع كثرة العطاء وامتداده . وجاء الفعل (أعطيناك) مزيداً بالهمزة للدلالة على التعدية ؛ لتذكيره وتكريمه بهذه المنة العظيمة .ففي الآية تناغم صوتي موحد من أولها إلى آخرها: حركة وسكون، ثم حركة وسكون..إلى آخرها:

إِنَّـآ / أَعْطَيْـ / نَاكَـلْ / كَـوْثَرْ

ولكنها تلتقي مع الآيتين بعدها بالفاصلة: كوثر / وانحر / أبتر .

ومن أسرار بلاغة الكوثر:

المبالغة في الكثرة :

ذكر ابن الأنباري أن الكوثر (فوعل) من الكثرة، والواو فيه زائدة، والدليل على ذلك من وجهين: أحدهما القياس؛ وهو أن الواو وقعت معها ثلاثة أحرف أصول، فحكم بزيادتها؛ وكذا حكم الألف والياء.والثاني الاشتقاق؛ وهو أنه مشتق من الكثرة، والكثرة لا واو فيها فكانت زائدة[٢٩].

فإذا تصفحنا القرآن الكريم من أوله إلى آخره؛ لوجدنا أن لفظ الكوثر بهذه الصيغة التي تدل على المبالغة في الكثرة ــ لم يرد في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع، وإن كان قد ورد في القرآن لفظ كثير وأكثرهم، وغير ذلك؛ مما يعني الكثرة؛ مما يدل على اختصاص الله رسوله محمداً ﷺ بهذه الصيغة الفريدة في لفظها، وفي دلالتها، وفي سورتها الخاصة به ﷺ.

والكوثر: (فوعل) من الكثرة ؛ مثل النوفل من النفل، والعرب تسمي كل شيء في العدد والقدر والخطر كوثراً، والكوثر من الرجال؛ السيد الكثير الخير . قال الكميت:

وأنت كثير يا ابن مروان طيبٌ وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

ومن معاني الكوثر : العدد الكثير من الأصحاب والأشياع .[٣٠]

وذكر ابن عاشور (ت١٩٧٣هـ): أن الكوثر: اسم في اللغة للخير الكثير، صيغ على زنة (فَوْعَل)، وهي من صيغ الأسماء الجامدة على غير مسماها، ولما وقع هنا فيها مادة الكثر كانت صيغته مفيدة شدة ما اشتقت منه بناءً على أن زيادة المبنى تؤذن بزيادة المعنى ــ وإن كانت هذه القاعدة غير مطردة كما يعرفها أهل اللغة ــ ولذلك فسره الزمخشري (ت٥٣٨هـ) بالمفرط في الكثرة، وهو أحسن ما فسر به، ويوصف الرجل صاحب الخير الكثير بكوثر من باب الوصف بالمصدر[٣١] والوصف بالمصدر فيه مبالغة كأنه أعطي كل ما تتضمنه كلمة الكوثر.

و الكوثر؛ وإن كان في صيغته يدل على غاية الكثرة والعظمة؛ لكنه أيضاً بسبب صدوره من الله الملك الوهاب ـ يزداد عظمة وكمالاً؛ ذلك أن الهدية؛ وإن كانت قليلة؛ لكنها بسبب كونها واصلة من مُهدٍ عظيم؛ تصير عظيمة. وأريد من ذكره بشارة النبي ﷺ وإزالة ما عسى أن يكون في ظاهره من قول من قال فيه: هو أبتر، فقوبل معنى الأبتر بمعنى الكوثر إبطالاً لقولهم. ففي الكلمتين بديع الطباق الذي نبينه عند كلمة الأبتر .

ويظهر أن هذه تسلية لرسول الله ﷺ عن صد المشركين إياه عن البيت في الحديبية ـ على رأي من قال إن السورة مدنية ـ فأعلمه الله بأنه أعطاه خيراً كثيرا، أي قد بسط له في المستقبل، وعبر عنه بالماضي لتحقيق وقوعه(٣٢) .

حذف موصوف الكوثر:

وفي حذف موصوف الكوثر مالا يخفى من المبالغة والإيحاء بعموم تلك العطية وشيوعها.

ويأتي الحذف لتصفية العبارة، وترويق الأسلوب من ألفاظ يفاد معناها بدونها لدلالة القرائن عليها.

ومن مزايا الحذف ـ بصوره المتعددة ـ : الاختصار و الإيجاز، وصيانة الجملة من الثقل والترهل اللذين يحدثان من ذكر ما يمكن الاستغناء عنه، وبعث الفكر وتنشيط الخيال؛ وإثارة الانتباه ليقع السامع على مراد الكلام، ويستنبط معناه من القرائن والأحوال، وخير الكلام ما يدفعك إلى التفكير، ويستفز حسك وملكاتك (٣٣).

وغير بعيد أن حذف موصوف الكوثر جاء لجميع تلك المزايا ؛ وليكون أبلغ في العموم لما فيه من عدم التعيين .

فباب الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، شبيه بالسحر، وربما كان ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وأبين، كما

ذكر عبد القاهر [٣٤] . فأتى بالكوثر صفة لموصوف محذوف، والكوثر المعروف إنما هو نهر في الجنة كما سبق ذكره، وهو يندرج تحت عموم الخير الكثير الذي تدل عليه هذه الصيغة، والذي أعطاه الله إياه ﷺ .

تعريف الكوثر بأل :

جاء تعريف الكوثر لتدل على الاستغراق لتكون لما يوصف بها شاملة. فأل التعريف ــ هنا ــ دالة على كمال المسمى وتمامه كقولك : زيد العالم، زيد الشجاع أي لا أعلم منه ولا أشجع منه، وكذلك قوله: إنا أعطيناك الكوثر؛ دل على أنه أعطاه الخير كله كاملاً موفراً وإن نال من هذا العطاء بعض أفراد أمته شيئاً؛ كان ذلك الذي ناله ببركة اتِّباعه والاقتداء به [٣٥].

وتبرز المناسبة بين أصوات الكلمة وما تدل عليه من حيث مناسبتها لأجزاء الحدث، فالكاف والواو القويتان تقابلان أول الحدث؛ وهو كثرة الخير، والثاء برخاوتها ؛ تقابل سهولة هذا الخير وانسيابه، والراء المجهورة المتكررة ؛ تقابل تكرار هذا العطاء . إنه الكوثر الذي لا نهاية لفيضه، ولا إحصاء لعوارفه، ولا حد لمدلوله. ومن ثم تركه النص بلا تحديد؛ يشمل كل ما يكثر من الخير ويزيد[٣٦].

ثانيا:الظواهر البيانية في عرض السورة:(فصلّ لربك وانحر)

قال ابن كثير في تفسيرها: " أي أخلص له صلاتك وذبحك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم، والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية، والعزم على الإخلاص لله تعالى"(٣٧).

وقال الزمخشري : " فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائه، وشرفك وصانك من منن الخلق مراغماً لقومك الذين يعبدون غير الله، وانحر لوجهه وباسمه إذا نحرت؛ مخالفاً لهم في النحر للأوثان" (٣٨) .

أي إن الله أمره أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين، وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب، والتواضع، والافتقار، وحسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله، ولهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) [الأنعام : ١٦٢] .

والمقصود أن الصلاة والنسك هما من أجلِّ ما يتقرب به إلى الله عز وجل، فإنه أتى فيها بالفاء الدالة على السبب ؛ لأن فعل ذلك - وهو الصلاة والنحر- سببٌ للقيام بشكر ما أعطاه الله إياه من الكوثر، والخير الكثير، فشكر المنعم عليه، وعبادته أعظمها هاتان العبادتان، بل الصلاة نهاية العبادات وغاية من أعظم الغايات (٣٩) .

وقد تضمنت هذه الآية مجموعة من الظواهر البيانية، منها:

موقع الفاء:

ففي قوله تعالى فصلِّ جاء الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها:أي" فدم على الصلاة لربك الذي أفاض عليك ما أفاض من الخير خالصاً لوجهه عز وجل خلاف الساهين عنها، المرائين فيها أداءً لحق شكره تعالى على ذلك، فإن الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر ولذا قيل فصل دون فاشكر"(٤٠).

ومعنى ذلك أن بين الآيتين صلة شديدة ورباط قوي ؛ أكد هذه الصلة الشيخ البقاعي (ت ٨٨٥هـ)فذكر أنه لما أعطاه ما فرَّغه به للعبادة، وأكسبه غنى لا حاجة معه لغيره؛ أمره بما هو جامع لمجامع الشكر(فصلِّ)؛ أي بالوقوف بين يدي الله؛ في حضرة المراقبة لإحسان المنعم؛ خلافاً للساهي عنها، والمرائي فيها [٤١].

ومن فوائد الفاء هنا التنبيه على أن شكر النعمة يجب على الفور؛ لا على التراخي[٤٢] وجاءت الآية كاملة تتناسب مع هذه الفورية والسرعة خالية من المدود والإطالة، ومن يقرأ كلماتها متتابعة يدرك ذلك .

فكان موقع الفاء في بداية هذه الآية في غاية البلاغة والبيان، ولا يمكن أن يغني عنه حرف آخر فجاء مطلباً لنظم الآية بهذه الصورة .

سر اختيار الفعل (فصلِّ):

والمراد في قوله (فصلِّ (: الأمر بالصلاة، فإن قيل: اللائق عند النعمة الشكر، فلِمَ قال: فصلِّ ولَم يقل: فاشكر ؟

والجواب: أن الشكر عبارة عن التعظيم، وله ثلاثة أركان:

١ــ الشكر بالقلب؛ وهو أن يعلم أن تلك النعمة منه؛ لا من غيره.

٢ــ الشكر باللسان؛ وهو أن يمدح المنعم ويثني عليه.

٣ــ الشكر بالجوارح؛ وهو أن يخدمه ويتواضع له. والصلاة مشتملة على هذه المعاني، وعلى ما هو أزيد منها، فالأمر بالصلاة أمر بالشكر وزيادة، فكان الأمر بالصلاة أحسن[٤٣]، نستشف من خلاله روعة الأسلوب القرآني، ودقة استعماله للألفاظ والكلمات.

جمال الالتفات في الآية:

في قوله تعالى : لربك تعريض بدين العاص وأشباهه ممن كانت عبادتهم ونحرهم لغير الله، وتثبيت قدمي رسول الله ﷺ وإخلاصه العبادة لوجه الله الكريم [٤٤] .

وفي التصريح بهذا اللفظ يبرز فن الالتفات البديع، وهو هنا صرف الكلام عن لفظ المضمر إلى لفظ صريح ظاهر، وفيه إظهار لكبرياء شأنه سبحانه وتعالى، وإبانة لعزة سلطانه؛ يوجب نوعاً من العظمة والمهابة [٤٥].

وفيه أيضاً حث وتأكيد لترغيبه في أداء ما أمر به على الوجه الأكمل. كما أن في استعمال لفظ الرب إيماء إلى استحقاقه العبادة لأجل ربوبيته فضلاً عن فرط إنعامه .

والالتفات فن من الفنون البلاغية التي يتلون فيها الخطاب، فيحدث في النفس وقعاً خاصاً فتتحرك معه المشاعر، وتبعث على التفكير والتأمل . فهو ظاهرة أسلوبية، وخاصية تعبيرية تتميز بطاقاتها الإيحائية من حيث كان بناؤه يعتمد على العدول، وهو عند البلاغيين:العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول [٤٦] . وقد أحسن الزمخشري الكلام عن سر بلاغة الالتفات؛ فبين أنه يستعمل للتفنن في الكلام والانتقال من أسلوب إلى أسلوب تطريةً لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه[٤٧] .

وهو في القرآن الكريم لا يدانيه الالتفات الوارد في كلام العرب، ولا يصل إلى مستوى القيم التي يتمتع بها في القرآن الكريم، ويرد في الآيات التي تتصف بشدة العاطفة وقوة الوجد، وليس وجوده في القرآن الكريم حلية وزينة، ولا عرضاً يستغنى عنه، ولا تابعاً لما هو أصل له، بل هو أصل برأسه؛ يختل المعنى بزواله ويتأثر الأسلوب باختلاله [٤٨].

وفي الإتيان بهذه الصفة ــ الرب ــ دون سائر صفاته الحسنى دلالة على أنه هو المصلح له، المربي بنعمه، فلا يلتمس كل خير إلا منه. وإضافة (رب) إلى ضمير المخاطب لقصد تشريف النبي ﷺ وتقريبه، وفيه تعريض بأنه يربُّه ويرأف به[٤٩] .

ومن بلاغة الالتفات في لفظ ربك أن الضمير في الآية السابقة ليس في صريح لفظه أن هذا القائل هو الله، أو أن الإعطاء من الله أو من غيره،

وأيضاً كلمة (إنا) تحتمل الجمع، كما تحتمل الواحد المعظم نفسه، فلو قال: (فصل لنا)؛ ما كان يعرف أن هذه الصلاة لله وحده، أم له ولغيره على سبيل التشريك، فلهذا ترك اللفظ، وقال (فصل لربك) ليكون ذلك إزالة لذلك الاحتمال، وتصريحاً بالتوحيد في الطاعة والعمل لله تعالى[٥٠].

ومن ناحية أخرى في قوله تعالى: (فصل لربك) أبلغ مما لو قال: (فصل لله)؛ لأن لفظ (الرب) يفيد التربية المتقدمة المشار إليها بقوله (إنا أعطيناك الكوثر) ويفيد الوعد الجميل في المستقبل أنه يربيه ولا يتركه[٥١].إنها بلاغة القرآن الكريم الذي لا يلقي الألفاظ على علاتها، وإنما لكل لفظ موقع؛ لا يقوم مقامه لفظ آخر، دقة في التعبير، وروعة في الأسلوب، وغيض من فيض الحكمة والجلال.

البلاغة في قوله تعالى: (وانحر) :

قال ابن منظور: " يقال لمذبح البعير: النحر؛ لأن منحره في صدره؛ حيث يبدو الحلقوم من أعلى الصدر؛ فمعنى (نَحَرَهُ) في هذا الموضع: أصاب نحره، ونحر البعير: طعنه في منحره"[٥٢]. ومعناه عند بعض المفسرين أنها فعل يتعلق بالصلاة، ومن معانيه فيها وضع اليدين على النحر في الصلاة، ذكر نحو هذا ابن كثير في تفسيره، ثم أشار إلى أن هذا يروى عن علي(رضي الله عنه)، ولا يصح [٥٣].

وذكر الفخر أن حمله على نحر البُدن أولى[٥٤]، ولعل هذا هو الأرجح؛ لأن (وانحر) معطوفة على الصلاة، والعطف يفيد التغاير، ولو كان معناه وضع اليدين على النحر في الصلاة؛ لما أفاد التغاير.

ومن الإيجاز أن يُحذف شيء من الكلام أو من الأحرف، وقد أشرنا سابقاً إلى بلاغة الحذف ومزاياه، وقد حذف هنا متعلق (وانحر)، إذ التقدير: (فصل لربك وانحر له) فحذف الأخير لدلالة ما قبله عليه نحو قوله تعالى: (أبصر به وأسمع)[الكهف/ ٢٦] ؛ أي وأسمع به .

وجاء التعبير بـ (انحر) دون (اذبح) تغليباً للفظ النحر، ولعل سبب ذلك دلالة على وجوب تقديم أفضل المال، وهو يومئذ الإبل، وكانت أكثر وأعظم ما يقدم في النسك، وفيها إيماء إلى إبطال نحر المشركين قرباناً للأصنام [٥٥].

وجاءت (وانحر) بعد (فصلِّ) أيضاً لمراعاة الفاصلة وما يسمونه بالسجع في غير القرآن الكريم، وهو من البديع المستحسن إذا ساقه قائله مساقاً من غير تكلف.

وقد جاء الأمر والتوجيه لرسول الله ﷺ في قوله تعالى: (فصل لربك وانحر) من غير توكيد؛ لأنها تخاطب الرسول ﷺ المؤمن المصدق المسلم بكل ما يأتي من ربه عز وجل؛ فيأخذه بالتسليم والإيمان، فلذلك خلت من كل توكيد لمراعاة مقتضى حال المبلَّغ، وكان بلا ريب أسرع الناس في الاستجابة لأمر ربه تبارك وتعالى.

ثالثاً:الظواهر البيانية في الخاتمة:(إن شانئك هو الأبتر)

قال ابن كثير: " أي إن مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره " [٥٦].

وذكر الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) أن مبغضه ﷺ هو المنقطع عن الخير على العموم؛ فيعم خيري الدنيا والآخرة، أو الذي لا عقب له، أو الذي لا يبقى ذكره بعد موته. وظاهر الآية العموم، وأن هذا شأن كل من يبغض النبي، ولا ينافي ذلك كون سبب النزول هو العاص بن وائل أو غيره، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٥٧] .

ومن الظواهر البيانية في هذه الآية :

الاستئناف البياني:

وذلك بتصدير الجملة بحرف (إن) المؤذنة بتأكيد الخبر . ومن بلاغة هذه الآية أنه علل الأمر(فصلِّ) بالإقبال على شأنه ﷺ ، وترك الاحتفال بشانئه على سبيل الاستئناف البياني[٥٨] الذي يعد فنا من فنون البلاغة؛ عني به علماء البلاغة ضمن مباحث الفصل والوصل الذي يعد من أهم مباحث النظم وأدقها.

ويأتي الاستئناف البياني جواباً عن سؤال ظاهر أو مقدر مفهوم من الجملة الأولى؛ تتشوف النفس إلى ذلك الجواب، وتتشوق إلى معرفته.

وفي هذا الموضع من السورة يقتضي أن يكون السؤال مقدراً؛ فكأنه ينشؤ سؤال عن أولئك الشانئين، وكيف يعالج الأمر معهم؟ فيكون الجواب: (إن شانئك هو الأبتر) فلا تبال بهم، ومن ثم ترك العطف بين الآيتين؛ لأن الجواب لا يعطف على السؤال لما بينهما من ترابط وثيق وصلة قوية.

وترجع بلاغة هذا الأسلوب إلى ما يفيده من إثارة المخاطب، وتحريك ذهنه، فهذا السؤال الذي يلمح من الجملة الأولى قد انبعث في ذهن المخاطب، أو في ذهن المتكلم الذي أدرك أن الجملة ينشؤ منها هذا السؤال، وأن المخاطب ينتظر جواباً له وبياناً ، فعندما يأتي البيان ويرد الجواب؛ يقع في النفس أحسن موقع وأفضله[٥٩] .

فابن عاشور يذهب إلى جواز أن تكون الآية تعليلاً لمجيء حرف (إنَّ) إذ يكثر استعمال(إن) في التعليل؛ إذا لم يكن لرد الإنكار، غير أنه يؤكد جانب الرد على الإنكار لاشتمال الكلام على صيغة القصر، وعلى ضمير الغائب (هو)، وعلى لفظ الأبتر مؤذن بأن المقصود رد كلام صادر من معين،وحكاية لفظ مراد بالرد[٦٠].وكأن ابن عاشور يؤكد قول الآلوسي وهو من مصادره حينما ذكر أن هذه الجملة كالتعليل لما يفهم من الكلام[٦١].

أما اسم الفاعل(شانئك):فقد بين الطبرسي (ت ٨٢٥ هـ): أن القرآن الكريم ذكره بصفته (شانئك) لا بالاسم؛ ليتناول كل من أتى بمثل حاله[٦٢] . وظاهر كلام الطبرسي وكلام الشوكاني الذي سبق أن الآية باستعمال هذه الصفة شملت كل من يبغض الرسول ﷺ وهذا أبلغ في قانون البلاغة من ذكر الاسم وتحديد معين.

وذكر السمين الحلبي(تـ٧٥٦هـ) أن ابن عباس قرأ (شنئك) بغير ألف، وهذه الصيغة تفيد المبالغة على وزن (فَعِل)[٦٣].

وتدور مادة هذه الكلمة حول البغض ؛ فتبرز المناسبة بين أصواتها وما تدل عليه من حيث مناسبتها لأجزاء الحدث، فالشين بتفشيها وانتشارها، وبعدها الألف التي تعد امتدادا لها ؛ تقابلان قوة الحقد، والنون بجهرها وغنتها، وبعدها الهمزة القوية ؛ تقابلان تركز الحقد واكتماله، والكاف الشديدة تقابل عمق الحقد وقوته وتسلطه من الشانئ على رسول الله ﷺ[٦٤].

الاختصاص والتوكيد:

وأتي بضمير الفصل المؤذن بالاختصاص والتوكيد ؛ إذ يصير الإسناد مرتين. فحصل القصر في قوله: (إن شانئك هو الأبتر) ؛ لأن ضمير الفصل يفيد قصر صفة الأبتر على الموصوف، وهو شانئ النبي ﷺ قصر المسند على المسند إليه، وهو قصر قلب،أي هو الأبتر؛ لا أنت، كما يفيده استعمال ضمير الفصل في مثل هذا التعبير من حصر واختصاص وتوكيد وزيادة في الإسناد.

والأبتر حقيقته المقطوع بعضه، وغلب على المقطوع ذنبه من الدواب، ويستعار لمن نقص منه ما هو من الخير في نظر الناس تشبيهاً بالدابة المقطوع ذنبها تشبيه معقول بمحسوس، فقد شبه الله الذكر الجميل بذنب الحيوان لأنه يتبعه، وهو زينة له، وشبه الحرمان من الأثر الطيب

بقطع الذنب، وقد شاع البتر في ذلك فكأنه يقول : أما شانئوك وحاسدوك ومبغضوك فهم المقطوع أثرهم الذين لا يبقى لهم ذكرٌ جميل [٦٥] .

فانظر أيها القارئ العزيز إلى هذه السورة السطر من القرآن الكريم أبت إلا أن تتحفنا بهذه الصورة الجميلة البديعة الفائقة الرائقة؛ التي لا يفترع مثلها إلا أرباب الفصاحة والبيان، وأين هم أمام هذا البيان المعجز؟!.

المبالغة وأسلوب الحكيم:

وفي التعبير بالأبتر دون المبتور من المبالغة، فأتى بالأبتر على صيغة أفعل الدالة على التناهي في هذه الصفة. وعُرِّف الأبتر بأل المؤذنة بالخصوصية بهذه الصفة كأنه قيل: الكامل في هذه الصفة، فأريد بها بلوغ الموصوف بها قمة هذه الصفة، وتفرده بها[٦٦] كما تقول في الصفات المستحسنة: النبي الأكرم؛ أي الذي تناهى في هذه الصفة؛ فلا كريم مثله .

قال ابن عاشور: " ولما كان وصف الأبتر في الآية جيء به لمحاكاة قول القائل(محمد أبتر إبطالاً لقوله ذلك، وكان عُرفهم في وصف الأبتر أنه لا عقب له؛ تعين أن يكون هذا الإبطال ضرباً من أسلوب الحكيم، وهو: تلقي السامع بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أن الأحق غير ما عناه من كلامه كقوله تعالى: (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) [البقرة/ ١٨٩]، وذلك بصرف مراد القائل عن الأبتر الذي هو عديم الابن الذكر إلى ما هو أجدر بالاعتبار، وهو الناقص حظ الخير ..." [٦٧]

ففي هذا الأسلوب - إذاً- شيء من المفاجأة، وفيه أيضاً شيء من الحكمة والتنبيه اللطيف على أن الأولى بمثل المخاطب- أو المعنيٌ بالكلام- أن يكون هذا المعنى مراده، لا ما ذكره.

الطباق:

ويتجلى هذا الفن البديعي في المقابلة بين كلمتي الكوثر والأبتر، لأن الكوثر الخير الكثير، والأبتر: المنقطع عن كل خير، فجاء هذا الطباق ليميز

الرسول ﷺ من خصومه وليبرز البون الشاسع بين حال الرسول الطائع لله، وحال شانئه العاصي لأمر الله .

وربما كان الطباق أكثر ألوان البديع وروداً في القرآن الكريم؛ ذلك أن القرآن الكريم كثيرًا ما يتحدث عن المعاني المتقابلة في سياق واحد من غير تكلف، ولا ترف في الأسلوب.

والطباق-ومثله كل فنون البديع- يؤدي دوراً مهمّاً في مظاهر إعجاز القرآن الكريم، وهو سمة عظيمة من سمات أسلوبه ؛ قد سلم ـ مع كثرته ـ من التكلف، بل هو آية الحسن ومصدر العجب(٦٨).

ولا يشكل هذا الوصف بالأبتر في من كان يبغض الرسول عليه الصلاة والسلام قبل الإيمان من أكابر الصحابة رضي الله عنهم، ثم هداه الله تعالى للإيمان وذاق حلاوته ؛ فكان أحب إليه من نفسه، وأعز عليه من روحه. وصفة الأبتر معللة بمن يبغض الرسول ﷺ وقد زال البغض من قلوب الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وتحول إلى محبة عظيمة له . واختار بعضهم في دفع ذلك حمل اسم الفاعل على الاستمرار؛ فهم لم يستمروا على البغض. والظاهر أنه انقطع نسل كل من كان مبغضاً له عليه الصلاة والسلام حقيقة أو حكماً؛ لأن من أسلم من نسل المبغضين؛ انقطع انتفاع أبيه منه بالدعاء ونحوه(٦٩).

أقول وكما جاءت لفظة الكوثر فريدة في موضعها وفي دلالتها ؛ فقد جاءت لفظة الأبتر المقابلة لها كذلك فريدة في موضعها، وفي دلالتها؛ إذ إنها لم ترد في القرآن الكريم في موضع آخر، ولا شيء من اشتقاقاتها،وكأنها توحي لنا بما أراده الله عز وجل من وصم أولئك الذين يصفون رسوله بالأبتر، فجعلها وصفاً لاصقاً بهم يتلى ليل نهار إلى يوم البعث .

وجاءت الأبتر بهذه الصيغة مبدوءة بهمزة القطع، وكذا الباء والتاء، فجميعها أصوات شديدة، مغلقة، انفجارية ؛ تناسب قوة البتر والقطع، وتكرار

الراء يتناسب مع استمرار قطع هذا الشانئ، فهو منسي في الدنيا والآخرة، وإن ذكر في الدنيا ذكر بالذم واللعن [٧٠].

وهذا يتلاءم مع مدلول الكلمة الذي يفيد القطع والبتر لشانئي الرسول ﷺ ؛فالجرْس في ألفاظ القرآن الكريم يشترك في تصوير المعنى ووقعه في الحس، فإذا تلا الإنسان القرآن الكريم أحس بذلك الإيقاع في سياقه يبرز بروزاً واضحاً في السور القصار، والفواصل السريعة، ويتوارى ــ قليلاً أو كثيراً ــ في السور الطوال، كما تقرر عند صاحب الظلال[٧١] .

الفاصلة القرآنية في السورة:

وهذه السورة من السور التي توحدت فيها الفاصلة في جميع آياتها الثلاث، فجاء حرف الروي متماثلاً في فواصل السورة على نسق واحد، وهو حرف الراء المقيد، ويسبقه فتحة ثم سكون ثم فتحة في الكلمات : (كوثر، وانحر، أبتر).

ومجيء الفواصل القرآنية مشتملة على هذه الحركات القصيرة : (الكوثر، وانحر، الأبتر) يتناسب مع سرعة الحدث : وفرة ماء الكوثر، وسرعة النحر، وسرعة القطع [٧٢].

والقرآن الكريم هو الكتاب الأول الذي يراعي تناسب الفاصلة وحسنها، مع بقاء المعاني التي يقتضيها النظم، وإن لم نصل نحن إلى سر استعمال هذه الفاصلة أو تلك، وما يضفيه من جمال التناسق بين الفواصل.

وقد ألمعنا إلى بلاغة هذه الكلمات الثلاث في عرضنا للقضايا البلاغية في السورة، وأهمية كل كلمة فيها في موضعها، وفي دلالتها، ومقتضى النظم في موقعها.إن القرآن الكريم " لا يعنى بالفاصلة على حساب المعنى، ولا على حساب مقتضى الحال والسياق، بل هو يحسب لكل هذا حسابه،هو يختار الفاصلة مراعياً فيها المعنى والسياق والجرْس، ومراعياً فيها خواتيم الآيات وجو السورة، ومراعياً فيها كل الأمور التعبيرية والفنية الأخرى ... " [٧٣].

ويبدو أن كلمة الأبتر تتسع لمعان كثيرة مقابل اتساع معاني كلمة الكوثر؛ فقد تحدث عنها ابن تيمية، وبيّن هذا التوسع والعموم فيما ذكره أن الله سبحانه وتعالى يبتر شانئ الرسول ﷺ من كل خير ؛ فيبتر أهله وماله، فيخسر ذلك في الآخرة، ويبتر حياته؛ فلا ينتفع بها، ولا يتزود فيها صالحاً لمعاده، ويبتر قلبه؛ فلا يعي الخير، ولا يؤهله لمعرفته تعالى ومحبته والإيمان برسله عليهم السلام، ويبتر أعماله؛ فلا يستعمله سبحانه في طاعته، ويبتره من الأنصار؛ فلا يجد له ناصراً ولا معيناً، ويبتره من جميع القرب؛ فلا يذوق لها طعما، ولا يجد لها حلاوة، وإن باشرها بظاهره؛ فقلبه شارد عنها، وهذا جزاء كل من شنأ ما جاء به الرسول ﷺ لأجل هواه [٧٤].

إنه فهم عميق من شيخ الإسلام؛ يدلنا على اتساع الدلالات والمعاني لهذه الصفة، اتساعًا لا حدود له، كما اتسعت دلالات كلمة الكوثر المقابلة لها، وفي هذا ما يميز لغة القرآن الكريم على غيرها من لغة البشر؛ مهما أوتوا من فصاحة القول، وجوامع الكلم.

وجاءت الآية ردًّا على أولآئك الشانئين لتقول لهم: إن الإيمان والحق والخير لا يكون أبتر في أي حال من الأحوال، فهو ممتد عميق الجذور، وإنما الكفر والباطل والشر هو الأبتر، مهما ترعرع وتعاظم.

علاقة آخر السورة بأولها وحسن الخاتمة:

لنا أن نستوحي وجه ارتباط آخر السورة بما ورد في أولها مما ذكره الفخر الرازي بقوله : " ثم كما تكفل أولاً بإفاضة النعم عليه، تكفل في آخر السورة بالذب عنه، وإبطال قول أعدائه، وفيه إشارة إلى أنه سبحانه هو الأول بإفاضة النعم، والآخر بتكميل النعم في الدنيا والآخرة"[٧٥].

فقد ذكر في أولها العطاء العظيم للرسول ﷺ الذي دلت عليه الكوثر، وذكر في آخرها الأبتر الذي وصف به شانئي الرسول ﷺ ومبغضيه، فَمُحِبُّه ـ عز وجل ـ يمده بالعطاء غير المتناهي، وهو في الوقت نفسه يذب عنه

ويجازي شانئيه بالبتر والانقطاع عن كل خير، فما أحسن ابتداءها، وما أجمل ختامها.

ولا خلاف بين علماء البيان في أن الله تعالى ختم كل سورة من سوره بأحسن ختام وأتمه، ختاماً يطابق مقصدها، ويؤدي معناها.

وقد عرفنا قبل أن السورة ترتبط بالسورة التي قبلها ـ سورة الماعون ـ كما ترتبط بالتي بعدها، وهي سورة الكافرون.

كما يتصل القرآن الكريم بعضه ببعض في سوره وموضوعاته كالنص الواحد، ولذلك علل البقاعي موضع سورة الكوثر من القرآن الكريم؛ فقال :" وكأن هذه السورة خاتمة ما ذكر من النعم التي أعطاها الله سبحانه وتعالى نبيه، فلم يقع بعدها ـ في الترتيب ـ ذكر شيء من نعيم الدنيا، ولا ذكر أحد من المتنعمين بها ؛ لانقضاء هذا الغرض، وتمامه، وهذا أحد موجبات تأخير هذه السورة "[٧٦] .

ومن النسيج الصوتي الذي نجده في السورة تكرار كاف الخطاب في وسط كل آية من الآيات الثلاث ؛ ثم يتبع بفاصلة الراء:

(أعطيناك..الكوثر، لربك..وانحر، شانئك..الأبتر) يتضح أن هذا الاتزان الموسيقي والإيقاع في الآيات والفواصل مراد ومقصود .

وأخيراً نقول: تبين من خلال البحث أن السورة آية في الإيجاز والإعجاز، فهي ثلاث آيات؛من كلمات عشر، غير أنها تحمل في طياتها معاني كثيرة وكبيرة؛ تفصح عن عظمة هذه السورة، وقدرتها على العطاء قدر ما كان هذا العطاء في فعلها الأول يمنح الرسول ﷺ ويمده من منن الله عز وجل ما الله أهل لتلك المنن، وما الرسول ﷺ أهل لاستحقاق تلك المنن .

ولم تأت هذه السورة التي لا تتعدى السطر الواحد على نمط واحد، وإنما تلون فيها الخطاب؛ فانتقلت من معنى إلى معنى، ومن خبر إلى إنشاء، ومن إضمار إلى إظهار، ومن اسمية إلى فعلية، ومن تكلم إلى غيبة إلى غير

ذلك؛ على نحو من السرعة لا عهد لنا بمثله، ولا بما يقرب منه في كلام غيره قط . ومع هذه التحولات السريعة؛ احتفظت السورة بتلك الطبقة العليا من متانة النظم، حتى صيغ من هذه الأساليب المتنوعة هذا النص العظيم . وبعد؛ فإن كلام الله عز وجل مليء بالأسرار، وهو أجل وأعظم من أن تدركه عقول البشر، وأن نسبة ما بدا من إعجازه مما خفي يسير، وسيظل معجزاً إلى قيام الساعة.

ولله الحمد والمنة .

نتائج البحث :

بعد الرحلة في هذا البحث تجلت لنا عظمة هذه السورة وشيء من سرّ إعجازها فيما احتوته من أسرار بيانية وظواهر أسلوبية؛ فقد جاءت وافية شافية بما دلت عليه من معان، وجاءت في سياقها القرآني كون القرآن وحدة واحدة، فارتبطت بما قبلها، وبما بعدها من السور، وفي هذا توكيد على تناسب السور وارتباطها ببعضها.

وقد جمعت هذه السورة بين أغراض الامتنان بالعطاء العظيم من الله سبحانه والمدح، والأمر بالطاعات من صلاة، ونحر، وتقرب إلى الله، وشكر على نعمه بالصلاة والنحر- وبين الذم لمبغضي الرسول ﷺ.

ومن الأسرار البيانية والأسلوبية التي احتوتها السورة ما يأتي :

- توجيه الخطاب للرسول ﷺ وفيه تشريف ومبالغة في تأكيد العطاء.
- في استعمال الفعل أعطى ما فيه من البلاغة والإيجاز وحسن الموقع.
- جاء الفعل أعطيناك خبراً للجملة الاسمية، فنشأ في الجملة إسنادان، ودل على الخصوصية والحصر، وجاء ماضياً؛ فأشار إلى تحقق الوقوع.
- جاء المفعول الأول للفعل أعطيناك كاف الخطاب، ولم يقل: أعطينا الرسول أو النبي أو نحوه؛ ما أفاد أن تلك العطية غير معللة، بل هي من محض المشيئة الآلهية لشخصه ﷺ.
- جاءت الكوثر في موضعها، لا تغني عنها كلمة أخرى مطلقاً، وهي على وزن (فوعل) و تعني المبالغة في الكثرة؛ مع ما تتسع له من معان كثيرة. وفي حذف موصوف الكوثر مبالغة وإيحاء بعموم تلك العطية وشيوعها. وفي مجيء كلمة الكوثر معرفة ما أضاف إلى

العموم عموماً واستغراقاً لهذه الدلالة، فضلاً عما توحي به دلالة الكلمة ــ معرّفة ــ من كمال المسمّى وتمامه.

- في قوله فَصلِّ جاء بالفاء الدالة على السبب؛ لأن الصلاة والنحر سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله إياه من الكوثر؛ فإن الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر . و جاء بالفاء للحث على سرعة شكر النعمة على الفور، لا على التراخي.
- في إضافة رب إلى ضمير المخاطب تشريف للنبي ﷺ وتقريب له.
- وفي قوله لربك إزالة لاحتمال الإبهام الذي نشأ من قوله (إنا أعطيناك) فليس في صريح لفظه أن هذا القائل هو الله سبحانه وتعالى أو غيره.
- ولفظ رب أبلغ مما لو قال: لله أو غيره من أسماء الله وصفاته لأن لفظ (الرب) يفيد الوعد الجميل في التربية والرعاية والإصلاح.
- جاءت الآية الثالثة تفيد العموم، وكأنها تعليل لسابقتها بالإقبال على شأنه ﷺ وترك الاحتفال بشانئه على سبيل الاستئناف البياني الذي يعد من أساليب البيان البديعة. واشتملت هذه الآية على صيغة من صيغ القصر والاختصاص المشهورة، ذلك هو مجيء ضمير الفصل الذي يفيد الاختصاص والتوكيد، وبه يصير الإسناد مرتين.
- في التعبير بالأبتر فن المبالغة، فأتى على صيغة أفعل؛ الدالة على التناهي في هذه الصفة. وعُرّف الأبتر بأل المؤذنة بالخصوصية بهذه الصفة؛ فأريد بها بلوغ الموصوف بها قمة هذه الصفة وتفرده بها.
- في السورة صورة بيانية من استعمال لفظ الأبتر؛ تشبيهاً بالدابة المقطوع ذنبها .

- اشتملت السورة على بعض فنون البديع التي لا تطغى على رونق المعنى وجمال الأسلوب، نحو: حسن الاستهلال، والالتفات، وأسلوب الحكيم، والطباق، والسجع وغيرها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الهوامش:

١. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق- ١٩٩٥ :جـ٦/٣٩٨٧.

٢. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الفكر بيروت، ط ١٩٩٥ : جـ٣٢/١٢٩

٣. حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر،ط ١ـــ ١٩٨٥: جـ١١/٦٧١٢.

٤. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق الشيخ عادل

أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت ط١٩٩٣: جـ٨/٥٢٠،

البقاعي، برهان الدين، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في

تناسب الآيات والسور، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١٩٩٥: جـ٨/٥٤٧.

٥. المطعني، د٠عبد العظيم، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ـــ١٩٩٢: جـ١/٤٠٢.

٦. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب : جـ٣٢/١٣٦.

٧. المطعني، د٠عبد العظيم، خصائص التعبير القرآني : جـ١/٤١٢.

٨. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب: جـ٣٢/١٣٣.

٩. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي،١٩٧٢، حديث رقم : ٤٠٠.

١٠. الخفاجي، أحمد بن محمد الشهاب، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت جـ٨/٤٠٣.

١١.البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار القلم، بيروت ١٩٨٧ ،حديث رقم : ٤٥٨٤.

١٢.ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة،بيروت، ط٣ ــ١٩٨٩: جـ٤/٥٩٦.

١٣.حجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١-١٩٨٢: جـ٣٠/٨٥ ــ ٨٦.

١٤.حريري، أ.ناهيد عبد الحميد، التصوير القرآني في جزء عم دراسة أدبية تحليلية، مكتبة كنوز المعرفة، جدة، ط١ــ٢٠٠٦م: جـ٢/٩٧٢.

١٥.ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق د. طه عبد الحميد طه، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٨٠: جـ٢/٥٤٠.

١٦.ابن عاشور،محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية،ط١- ١٩٨٠ جـ٣٠/٥٧٢، الصاوي،العلامة أحمد، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، دار إحياء التراث العربي، بيروت: جـ٤/٣٥٨.

١٧.الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب: جـ ٣٢/١٢١.

١٨.العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٨٠جـ٢/١٦٦.

١٩. طبانة، بدوي : معجم البلاغة العربية، دار ابن حزم، بيروت، ط٤ــ١٩٩٧، ص٧٣.

٢٠. فيود، د. بسيوني عبد الفتاح، علم المعاني : مؤسسة المختار، ط٢-٢٠٠٤ص١٢٤.

٢١. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق د٠محمد رضوان الداية ود. فائز الداية، مكتبة سعد الدين، ط٢- ١٩٨٧ ص ١٥٥.

٢٢. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب : جـ٣٢/١٣٢. وقوله: "فلما قدم المبتدأ..." يعني ما أصله مبتدأ.

٢٣. الحراني، تقي الدين، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، التفسير الكبير، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١ــ ١٩٨٨ : جـ٧/٤٧ .

٢٤. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، بدائع التفسير، جمع يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام، ط١، ١٩٩٣: جـ ٥/٣٤٠.

٢٥. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب: جـ ٣٢/١٢١ــ١٢٣.

٢٦.الآلوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني : جـ ٣٠/٢٤٦.

٢٧.المنجد، محمد نور الدين، الترادف في القرآن الكريم، دار الفكر دمشق، ط ١٩٩٧ ص ١٥٢ــ ١٥٦.

٢٨.السعدني، د. مصطفى، البنيات الأسلوبية في الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٠- ص ٦٩.

٢٩.ابن الأنباري، أبو البركات،البيان في غريب إعراب القرآن: جـ ٢/٥٤٠.

٣٠. الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل...،تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط ١ــ١٩٩٨، جـ ٦/٤٤٥.

٣١. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير : جـ ٣٠/٥٧٣.

٣٢. أبن عاشور، التحرير والتنوير: ج ٣٠/٥٧٣ـ٥٧٤.
٣٣. أبو موسى، د. محمد محمد، خصائص التراكيب، مكتبة وهبة القاهرة، ط٤ ص ١٦٠ـ١٦١ .
٣٤. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص ١٦٢.
٣٥. الحراني، ابن تيمية، التفسير الكبير: جـ ٤٨/٧.
٣٦. حريري، أ. ناهيد عبد الحميد، التصوير القرآني في جزء عم: جـ ٩٦٦/٢، قطب، سيد، في ظلال القرآن : جـ ٣٩٨٨/٦.
٣٧. ابن كثير،أبو الفداء اسماعيل، تفسير القرآن العظيم: ١٩٩/٢.
٣٨. الزمخشري، جار الله محمود، الكشاف : جـ ٢٩١/٤.
٣٩. الحراني، ابن تيمية، التفسير الكبير: جـ ٤٩/٧.
٤٠. الآلوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني : جـ ٢٤٦/٣٠.
٤١. البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر : جـ ٥٤٨/٨ .
٤٢. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب : جـ ١٣٢/٣٢.
٤٣. البروسوي، اسماعيل حقي، روح البيان في تفسير القرآن، دار الفكر، ط بدون : جـ٥٢٥/١٠.
٤٤. الرازي، فخر الدين، نهاية الإيجاز : ص ٣٧٨ .
٤٥. السابق ص ٣٧٩.
٤٦. العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٨٠: جـ ١٣١/٢.
٤٧. الزمخشري،جار الله محمود بن عمر، الكشاف : جـ ١١٨/١.
٤٨. أبو علي، د. محمد بركات حمدي، دراسات في البلاغة، عمان، ط١، ١٩٨٤ ص ١٦٠، لاشين، د٠عبد الفتاح، البديع في ضوء أساليب القرآن، الإنجلو المصرية، ط٣ـــ ١٩٨٦ ص ٤.

٤٩. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون: جـ ٥٧٨/٦، ابن عاشور،محمد الطاهر، التحرير والتنوير: جـ ٥٧٤/٣٠.
٥٠. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب : جـ ١٣٢/٣٢.
٥١. السابق : جـ ١٣٢/٣٢.
٥٢. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت ط٣-١٩٩٥: جـ ١٩٥/٥ مادة (نحر).
٥٣. ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل، تفسير القرآن العظيم : جـ ٥٩٧/٤.
٥٤. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب : جـ ١٣١/٣٢.
٥٥. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: جـ٥٧٥/٣٠.
٥٦. ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل، تفسير القرآن العظيم: جـ ٥٦٠/٤.
٥٧. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١٩٩٤: ٦١٥/٥.
٥٨. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر،بدائع التفسير : ٣٤١/٥.
٥٩. فيود، د. بسيوني عبد الفتاح، علم المعاني : ٣٧٥ .
٦٠. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: جـ ٥٧٥/٣٠.
٦١. الآلوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني : جـ ٢٤٦/٣٠.
٦٢. الطبرسي، الفضل بن الحسن، جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد : جـ ٧٨٦/٢ .
٦٣. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون : جـ ٦ / ٥٧٨.

٦٤. حريري،أ.ناهيد عبد الحميد،التصوير القرآني في جزء عم:٢/٩٦٦.

٦٥. حجازي، محمد محمود، التفسير الواضح : جـ ٣٠/٨٥ ـ ٨٦ .

٦٦. حريري،أ.ناهيد عبد الحميد،التصوير القرآني في جزء عم:٢/٩٧١.

٦٧. ابن عاشور،محمد الطاهر،التحرير والتنوير: جـ ٣٠/٥٧٦ ـ ٥٧٧.

٦٨. المطعني، د. عبد العظيم، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: جـ ٢/٤١٦ – ٤١٩.

٦٩. الآلوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني : جـ ٣٠/٢٤٨.

٧٠. حريري،أ. ناهيد عبد الحميد، التصوير القرآني في جزء عم : ٢/٩٦٨.

٧١. قطب،سيد، التصوير الفني في القرآن : دار الشروق، ط١٩٨٩،ص ١٠٧.

٧٢. حريري،أ. ناهيد عبد الحميد،التصوير القرآني في جزء عم:٢/٩٦٨.

٧٣. السامرائي،د٠فاضل صالح،التعبير القرآني،دار عمار، ط ٢٠٠٢ـــ ص٢٣٦.

٧٤. الحراني، ابن تيمية، التفسير الكبير : جـ ٧/٢٤٥ .

٧٥. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب: جـ ٣٢/١٣٦.

٧٦. البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر:جـ ٨/٥٤٨ .

المصادر والمراجع:

١. الآلوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦ .

٢. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية،بيروت.

٣. ابن الأنباري، عبد الرحمن أبو البركات، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق د. طه عبد الحميد طه، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٨٠ .

٤. ابن عاشور،محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية، ط١-١٩٨٠.

٥. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، بدائع التفسير، جمع يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ،الدمام، ط١- ١٩٩٣ .

٦. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.

٧. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة بيروت، ط٣ ــ ١٩٨٩.

٨. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت ط ١٩٩٤.

٩. أبو علي،د. محمد بركات حمدي، دراسات في البلاغة، عمان،ط١٩٨٤،١.

١٠. أبو موسى،د. محمد محمد، خصائص التراكيب،مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤- ١٩٩٦.

١١. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار القلم، بيروت-١٩٨٧.

١٢. البروسوي،اسماعيل حقي،روح البيان في تفسير القرآن،دار الفكر،ط بدون.

١٣. البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١٩٩٥.

١٤. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق د. محمد رضوان الداية
ود. فائز الداية، مكتبة سعد الدين، ط٢- ١٩٨٧.

١٥. حجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ــ ١٩٨٢.

١٦. الحراني، تقي الدين بن تيمية، التفسير الكبير، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١ ــ ١٩٨٨ .

١٧. حريري، أ. ناهيد عبد الحميد جمال، التصوير القرآني في جزءعم دراسة أدبية تحليلية، مكتبة كنوز المعرفة، جدة، ط١ــ٢٠٠٦.

١٨. حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر ــ ١٩٨٥.

١٩. الخفاجي، أحمد بن محمد الشهاب، حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار إحياء التراث العربي،بيروت.

٢٠. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الفكر بيروت، ط١٩٩٥.

٢١. الرازي،فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز،تحقيق د.بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١- ١٩٨٥.

٢٢. الزمخشري،جار الله محمود بن عمر،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل...،تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط ١ ـ١٩٩٨.

٢٣. السامرائي، د. فاضل صالح، التعبير القرآني، دار عمار، ط ٢ ـ٢٠٠٢.

٢٤. السعدني، د. مصطفى، البنيات الأسلوبية في الشعر العربي الحديث ، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٠.

٢٥. السمين الحلبي،أحمد بن يوسف،الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وآخرون،دار الكتب العلمية، بيروت، ط ـ١٩٩٤.

٢٦. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، ط١ـ ١٩٩٤

٢٧. الصاوي، العلامة أحمد، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٢٨. الصعيدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة ـ ٢٠٠٥ .

٢٩. طبانة،د. بدوي، معجم البلاغة العربية،دار ابن حزم،بيروت،ط٤ـ١٩٩٧.

٣٠. الطبرسي، الفضل بن الحسن، جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد، دار الأضواء، بيروت، ط ٢ ــ ١٩٩٢ .

٣١. العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٩٨٠.

٣٢. فيود، د. بسيوني عبد الفتاح، علم المعاني،مؤسسة المختار،ط ٢-٢٠٠٤ .

٣٣. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٨٨.

٣٤. قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط١١- ١٩٨٩.

٣٥. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة - ١٩٩٥ .

٣٦. لاشين، د.عبد الفتاح، البديع في ضوء أساليب القرآن، الإنجلو المصرية، ط٣ــ ١٩٨٦ .

٣٧. المصري، عبد الواحد بن عبد العظيم ابن أبي الإصبع، تحريرالتحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق د. حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة- ١٩٦٣

٣٨. المطعني،د.عبد العظيم، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ــ ١٩٩٢ .

٣٩. المنجد، محمد نور الدين، الترادف في القرآن الكريم، دار الفكر، دمشق،ط ١٩٩٧.

٤٠. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي- ١٩٧٢.